# مولد الرفاعي(*)

لعبتْ بلبِّكَ ذاتُ طرفٍ أكحلِ ... وجنتْ عليكَ ببسمةٍ لمُقبَّلِ(١)

لما رمتكَ من العيونِ بفاتكٍ ... ورنتْ إليكَ بمثلِ حدِّ المنصلِ(٢)

تركتكَ نهباً للوساوس تتَّقي ... تفنيدَ خالٍ أو شماتَةَ عُذلِ(٣)

وطوتْ ضلوعَك خافقاً عبثت بِهِ ... وتقصَّدتهُ لدى الهوى في مقتَلِ

ووشتْ بأسرارِ الغرامِ إلى الدجى ... عيناكَ إذ همتا بدمعٍ مُسبلِ(٤)

رقدتْ جفونُ العاشقين فكيفَ لمْ ... ترقدْ جفونُ الساهرِ المتململِ(٥)

حتى متى هذا العذابُ وإنهُ ... للظى سعيرٍ في فؤادكَ مُشعَلِ

وإلامَ تستجدي الظلامَ خيالَها ... حتى يبدِّدهُ صباحٌ مُنجلي

* . * . * . * . *

عادتْ بما تلقاهُ نظرةُ شادنٍ ... كَلفٍ بتحطيمِ القلوبِ موكلِ(٦)

---

(*) ألقيت في الإحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بإنشاص في ١٣ أغسطس - آب - ١٩٥٣. (المجموعة الأخيرة).

(١) اللب: العقل. الطرف الأكحل: العين التي يعلو جفنها سواد مثل الكحل. المقبل: الفم.

(٢) رنا: أدام النظر إليه. المنصل: السيف.

(٣) التفنيد: تضعيف الرأي واللوم. خالٍ: الخالي.

(٤) وشت: من وشى: بمعنى أخبر وأذاع. همتا: من هما: بمعنى سال. المسبل: من أسبل، بمعنى هطل.

(٥) المتململ: من تململ: إذا لم يستقر.

(٦) شادن: الغزال الذي يستغني عن أمه ويظهر قرناه. كلف: مولع.

ما كانَ أهوَنها عليهِ وإن تكنْ ... تركتكَ عن سُبلِ الهناءِ بمعزلِ

ماذا لقيستَ من الهوى، ونعيمِهِ ... نارٌ، وحلوُ مذاقِه كالحنظلِ

أما الحسودُ ففي غرامِكَ لائمٌ ... تباً لهذا اللائمِ المتدفلِ

جهلَ الذي تلقاهُ من ألمِ الهوى ... ما كانَ يُزجي اللومَ لو لمْ يجهلِ[1]

إن التي قدْ غادرتكَ بسُحرةٍ ... تركتكَ نضوِ تفرّقٍ وتزيّلِ[2]

بانَ الخليطُ بها فعزَّ نوالها ... واحرَّ قلبكَ من هوى المُترحِّلِ[3]

يا راكبَ الوجناءِ قد حَثَّ الخطا ... في إثرِ ركبٍ في الدُّجى متحمِّلِ[4]

إنْ أبصرتْ عيناكَ شامخَ قُبةٍ ... غراءَ تجتازُ السحابَ وتعتلي

ورأيتَ ساحاتٍ لها قد زُينتْ ... فبدتْ لعينِكَ ذاتِ ثوبٍ أجملِ

خَفقتْ بها للهِ أرفعُ رايةٍ ... في ظلِّها الأملاكُ تهبطُ من عَلِ

فاقصدْ إلى بيتِ العُلا من هاشمٍ ... وبباب أربابِ النَّدى فترجَّلِ[5]

قسماً بهمْ لو زرتَهمْ لوجدتهم ... أندى عليكَ من الغمامِ المُثقلِ[6]

تلكَ المنازلُ قد أقامَ بها الهدى ... عنها مدى الأزمانِ لم يَتحوّلِ

يرثُ السنا والمجدَ فيها كابرٌ ... عن كابرٍ علمٍ أغرَّ محجلِ[7]

سوقاً أقاموا فيهِ بذل للقِرى ... للبائسِ العافي وإن لم يسألِ[8]

---

(١) تزجي : من زَجّى. تُزجيه بمعنى تدفعه برفق.

(٢) السحرة : السحر قبل انصداع الفجر. النضو: البعير المهزول.
التزيل : من زيل بمعنى المفارقة والتباين.

(٣) بان : افترق وابتعد المفارقة والتباين. الخليط: المخالط والجليس والنديم. عزّ: صعب.

(٤) الوجناء : الناقة الشديدة، وقيل العظيمة الوجنتين.

(٥) الندى : الكرم.

(٦) لقد غفل الشاعر عن عدم جواز القسم إلا بالله ودفعته عاطفته نحو آبائه للقسم بهم.

(٧) الأغر : الذي في جبهته بياض وهو كناية عن شهرته بين الناس المحجل : هو الفرس الذي في قوائمه بياض وهنا كناية عن شهرته.

(٨) القرى : الإحسان للضيف وإكرامه. العافي : والجمع عفاة، وهو طالب المعروف.

قد جُمِّعَ الأحبابُ في ساحاتِهِ ... من كلِّ ساعٍ للثوابِ مُعجِّلِ
المانحُ المسكينَ - حينَ يجيئُهُ - ... من فيضِهِ برَّ الكريم المجزلِ[1]
والمصدرُ الصادي - أضرَّ به الظّما - ... من بعدِ ما يرويه عذبَ المنهلِ[2]
في زخرفِ الدنيا وفي لألائِها ... ما كانَ غير الذاهلِ المتبتلِ[3]
سلكَ الطريقَ إلى محبَّةِ ربِّه ... فجزاهُ بالذكرِ الحميدِ الأطولِ
وحباهُ منه برفعة موصولةٍ ... وعلاً تعزُّ على السماكِ الأعزلِ[4]

* . * . * . * . *

يا نضرَّ الرحمنُ قبراً قد ثوى ... في جوفهِ للبرِّ أكبر مَوئلِ[5]
من معشرٍ باعوا الإلهَ نفوسَهمْ ... يرجونَ منهُ مثوبةَ المتقبَّلِ
الذاكرينَ اللهَ في حلكِ الدجى ... والراكعينَ بعبرةٍ وتذللِ[6]
والمنتمينَ إذا نسبتهمُ إلى ... غُصنِ الفَخارِ من النبي المرسلِ

* . * . * . * . *

يا ربِّ عشنا في الكنانةِ حُقبة ... نهبُ الكوارثِ والخطوبِ النُّزلِ
مرت بنا الأيامُ في لونِ الدجى ... نشكو إليكَ جنايةَ المتوغلِ[7]
تركوا ديارهمُ فتلكَ جُموعُهم ... حَجت إليهِ وأقبلتْ في جَحفلِ[8]
نادى مناديهمْ ببابِ خيامهمْ ... يا طالباً للزادِ نيلا أقبلِ

---

(١) المجزل : المكثر.
(٢) المصدر : المرجع . الصادي الظمآن. المنهل: المورد.
(٣) اللألأ : اللمعان. الذاهل: ذهل عن الشيء ونسيه. التبتل: الانقطاع عن الدنيا.
(٤) السماك الأعزل: من منازل القمر.
(٥) الموئل : الملجأ.
(٦) الحلك : الظلمة والسواد.
(٧) الجناية : الجريمة. المتوغل: الممعن في الجريمة.
(٨) الجحفل : الجيش.

وبكلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ ... ينسابُ للقرآنِ صوتُ مرتِّلِ

«قومي أولئكَ يا فرزدق فألقني ... إذْ ما فخرتَ على جرير بنَهشلِ[1]»

«قومٌ نماهمْ للمكارمِ هاشمٌ ... فخرُ المجامعِ في الزمانِ الأولِ»

ربُّ الندىِّ وصاحبُ الساحاتِ مَن ... كان السحابُ لكل وادٍ ممحِلِ[2]

ألقى له الأشرافُ غايةَ مجدهمْ ... شهدتْ له الأضيافُ أرحبَ منزلِ

وأقامَ للدِّينِ الحنيفِ دائماً ... ومضى على السننِ القويمِ الأفضلِ

أما الفقيرُ فقد أجارَ حياءَهُ ... وحماه من صرفِ الزمانِ الحوَّلِ[3]

وهدى الغويَّ إلى طريقِ نجاتِهِ ... من شرِّ شيطانٍ وغيٍّ مضللِ[4]

فمنارُ إرشادٍ وكعبةُ قاصدٍ ... وغياث مذعورٍ وغيثُ مؤمِّلِ

إذ مصرُ قد رُميت من القوم الأُلى ... ملكوا أزمتها بداءٍ مُعضلِ[5]

حكمَ الكنانةَ خائنٌ مستهترٌ ... طاغٍ بشأن بلادِهِ لم يحفلِ[6]

إن شيّدَ الإصلاحُ صرحَ كرامةٍ ... يسعى إلى هدمِ البناءِ بمعولِ

حتى إذا شاءَ الإلهُ نَجاتنا ... منْ جائرٍ في حُكمهِ لم يعدَلِ[7]

وثبتْ على العرشِ البغيضَ جماعةٌ ... من جيشنا المتحَفِّز المستبسلِ

أعمى الضلالُ العينَ منه فما رأى ... أمر الذين عيونهمْ لم تغفلِ

حتى إذا عزلوهُ أدركَ أنهُ ... من يبغِ للنيلِ المهانَةَ يُخذلِ

سائلْ هناكَ القصرَ عن ربِّ الهوى ... والليلِ، كيفَ نهايةُ المتبذِّلِ[8]؟

---

(١) هذا البيت وما بعده لجرير يضمنهم شاعرنا ليفخر بأجداده.

(٢) الوادي المحمل : الذي لم يأته المطر ولم ينبت نباتاً.

(٣) الحوّل : المتقلب.

(٤) الغيّ : الضلال.

(٥) الداء المعضل : الداء الشديد الذي يصعب شفاؤه.

(٦) يقصد بذلك الملك السابق فاروق.

(٧) جائر : ظالم.

(٨) المتبذل : المسرف على اللهو والمفاسد.

يا قصرُ ما كانَ الغداةُ بمانعٍ أيدي العدالةِ كلَّ بابٍ مقفلِ
تلكَ الرياضُ الناضراتُ كأنها عدنٌ بها من كلِّ وادٍ مُبقلِ[1]
إبليسُ غادرها رجيماً إنهُ لم يرعَ حقَّ المنعمِ المتفضلِ
طلعت عليهِ الشمسُ وهو مملكٌ وغدا الطريدَ مع الظلامِ المُسدلِ
في هذِه الدنيا وفي أحوالها عِظةُ اللبيبِ وعبرةُ المتأملِ
إن الإلهَ لمُمهِلٌ ، لكنَّهُ ما كانَ يوماً للغويِّ بمهمِلِ
يا ربِّ ماضينا تولى وانقضى بعهودهِ، ندعوكَ للمستقبلِ

*.*.*.*.*

(١) المبقل : الذي ينبت فيه البقول والزرع.